٤

رسالة

أبي محمد الهلالي
الضَّحَّاك بن مُزَاحِم بن شُجاع

(١٠٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ

وفيها:

الكلام عن الإيمان وشعبه

التعريف بصاحب الرسالة

الاسم: الضحاك بن مزاحم شجاع الهلالي.

الكنية: أبو محمد.

الوفاة: (١٠٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثناء العلماء عليه:

قال أحمد بن حنبل: ثقة مأمون.

وقال سفيان الثوري: خذوا التفسير من أربعة: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك.

وقال أبو أحمد بن عدي: عرف بالتفسير، فأما رواياته عن ابن عباس وأبي هريرة وجميع من روى عنه ففي ذلك كله نظر، وإنما اشتهر بالتفسير.

قال الذهبي: كان مِن أوعيةِ العلمِ، وليس بالمُجوِّدِ لحديثهِ، وهو صدوقٌ في نفسه.. وله باعٌ كبيرٌ في التفسيرِ والقصَصِ.اهـ.

مصادر الترجمة:

«تهذيب الكمال» (١٣/ ٢٩١)، و«السِّير» (٨/ ١٧٣).

مجمل الرسالة:

اشتملت هذه الرسالة على بيان الإيمان وأركانه الستة، وأنه لا يتم إلَّا بالعمل الصالح.

وبيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ منزلة العمل الصالح وفرائضه وسننه وشعبه من الإيمان.

قال ابن بطة مُعلقًا عليها: فهذه إخواني - رحمكم الله - شرائع الإيمان وشعبه وأخلاق المؤمنين الذين من كمُلت فيهم كانوا على حقائق الإيمان وبصائر الهدى وأمارات التقوى، فكلما قوي إيمان العبد وازداد بصيرةً في دينه وقوّة في يقينه تزيَّدت هذه الأخلاق وما شاكلها فيه، ولاحت أعلامُها وأماراتها في قوله وفعله، فكلها قد نطق بها الكتاب وجاءت بها السنة، وشهد بصحَّتها العقل الذي أعلا الله رتبته ورفع منزلته وأفلج حُجَّته، وعلى قدرِ نقصان الإيمان في العبد وضعفِ يقينه يقلُّ وجدان هذه الأخلاق فيه، وتُعدم من أفعاله وسجاياه. اهـ.

قلت: وفي هذه الرسالة رد على المرجئة الذين يزعمون أن الإيمان يصح من العبد بغير العمل الصالح.

مصدر الرسالة:

استخرجت هذه الرسالة من كتاب «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٨٨٨/ بتحقيقي)، وقد اعتمدت على نسخة خطية من هذا الكتاب، ثم قابلتها بنشرة دار الراية (٨٣٧)، ودار الفاروق (٨٤٨).

صورة المخطوط

ﷺ قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (٨٨٨/ بتحقيقي):

حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن أبي سهل الحربي، قال: ثنا أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي، قال: ثنا محمد بن حميد الرازي، وحدثني أبو محمد بن عبد الله بن جعفر الكفي، قال: ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، قالا: ثنا شجاع بن مخلد، قالا: ثنا أبو تميلة يحيى بن واضح، قال: ثنا عيسى بن عبيد الكندي، عن جعفر بن عكرمة القرشي، عن الضحاك بن مزاحم قال:

إن أحقَّ ما بدأ به العبد من الكلام أن يحمد الله ويثني عليه.

١ ـ فالحمد لله نحمده ونثني عليه بما اصطنع عندنا أن هدانا للإسلام، وعلَّمنا القرآن، ومنَّ علينا بمحمدٍ عليه [الصلاة و] السلام، وأن دين الله الذي بعث به نبيه ﷺ هو الإيمان، والإيمان هو الإسلام، وبه أرسل المرسلين قبله، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٢ ـ وهو الإيمان بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، والتصديق، والإقرار بما جاء من الله، والتسليم لقضائه وحكمه، والرِّضا بقدره.

٣ ـ وهذا هو الإيمان، ومن كان كذلك فقد استكمل الإيمان، ومن كان مؤمنًا حرَّم الله ماله ودمه، ووجب له ما يجب للمسلمين من الحقوق، ووجب عليه ما يجب على المسلمين من الأحكام؛ ولكن لا يستوجب ثوابه، ولا ينال الكرامة إلَّا بالعمل فيه، واستيجاب ثواب الإيمان عملٌ به، والعملُ به اتباع طاعة الله تبارك وتعالى في أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والاقتداء

بالصَّالحين، وإقامة الصَّلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلًا، ومحافظة على إتيان الجمعة، والجهاد في سبيل الله، والاغتسال من الجنابة، وإسباغ الطهور، وحسن الوضوء للصلاة، والتنظف لها، وبر الوالدين، وصلة الرَّحم، وصلة ما أمر الله به أن يوصل، وحسن الخلق مع الخلطاء، واصطناع المعروف إلى الأقرباء، ومعرفة كلِّ ذي حقٍّ حقَّه من والدٍ، فوالدةٍ، فولده، فذي قرابة، فيتيم، فمسكين، فابن سبيل، فسائل، فغارم، فمكاتب، فجار، فصاحب، فما ملكت اليمين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحب في الله تعالى، والبغض في الله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، والحكم بما أنزل الله، وطاعة ولاة الأمر في الغضب والرِّضا، ووفاء بالعهد، وصدق الحديث، ووفاء بالنذور، وإنجاز الموعود، وحفظ الأمانة من كتمان السِّرِّ أو المال، وأداء الأمانة إلى أهلها، وكتاب الدَّين المؤجل بشهادة ذوي عدل، والاستشهاد على المبايعة، وإجابة الداعي للشهادة، وكتابةٌ بالعدل كما علَّم الله، وقيام الشهادة على وجهها بالقسط ولو على النَّفس والوالدين والأقربين، ووفاء الكيل، والميزان بالقسط، وذكر الله تعالى عند عزائم الأمور، وذكر الله تعالى على كلِّ حال، وحفظ النفس، وغض البصر، وحفظ الفرج، وحفظ الأركان كلها عن الحرام، وكظم الغيظ، ودفع السيئة بالحسنة، والصبر على المصائب، والقصد في الرضا والغضب، والاقتصاد في المشي والعمل، والتوبة إلى الله تعالى من قريب، والاستغفار للذنوب، ومعرفة الحق وأهله، ومعرفة العدل إذا رأى عامله، ومعرفة الجور إذا رأى عامله كيما يعرفه الإنسان من نفسه إن هو عمل به،

ومحافظة على حدود الله، ورد ما اختلف فيه من حكم أو غيره إلى عالمه، وجسور على ما لم يختلف فيه من قرآن منزل، وسنة ماضية، فإنه حق لا شكَّ فيه، وردُّ ما يتورع فيه من شيء إلى أولي الأمر الذين يستنبطونه منهم، وترك ما يريب إلى ما لا يريب، واستئذانٌ في البيوت فلا يدخل بيتًا حتى يستأذن ويسلم على أهله من قبل أن ينظر في البيت أو يستمع فيه، فإن لم يجد فيها أحدًا فلا يدخل بغير إذن أهلها، فإن قيل: ارجعوا فالرجوع أزكى، وإن أذنوا فقد حلَّ الدخول، وأما البيوت التي ليس فيها سكان وفيها المنافع لعابر السبيل أو لغيرهم يسكن فيها ويتمتع فيها فليس فيها استئذان، واستئذان ما ملكت اليمين صغيرًا أو كبيرًا، ومن لم يبلغ الحلم من حُرِّيَّة أهل البيت ثلاثة أحيان من الليل والنهار: أواخر الليل قبل الفجر، وعند القيلولة إذا خلا رب البيت بأهله، ومن بعد صلاة العشاء إذا أوى رب البيت وأهله إلى مضاجعهم، وإذا بلغ الأطفال من حُرِّيَّة أهل البيت الحلم فقد وجب عليه من الاستئذان كل هذه الأحيان، واجتناب قتل النفس التي حرَّم الله إلَّا بالحق، واجتناب أكل أموال الناس بالباطل إلَّا أن تكون تجارة عن تراض منكم، واجتناب أكل أموال اليتامى ظلمًا، واجتناب شرب الخمر، واجتناب شرب الحرام من الأشربة والطعام، واجتناب أكل الربا والسُّحت، واجتناب أكل القمار والرشوة والغصب، واجتناب النجش والظلم، واجتناب أخذ المال، واجتناب كسب المال بغير حق، واجتناب التبذير والنفقة في غير حق، واجتناب التطفيف في غير الوزن والكيل، واجتناب نقص المكيال والميزان، واجتناب نكث الصفقة، وخلع الأئمة، واجتناب الغدر والمعصية واجتناب

اليمين الآثمة، واجتناب بر اليمين بالمعصية، واجتناب الكذب، والتزيد في الحديث، واجتناب شهادة الزور، واجتناب قول البهتان، واجتناب قذف المحصنة، واجتناب الهمز واللمز، واجتناب التنابز بالألقاب، واجتناب النميمة والاغتياب، واجتناب التجسس، واجتناب سوء الظن بالصالحين والصالحات، واجتناب الإصرار على الذنب، والتهاون به، واتقاء منع الماعون، واتقاء الإمساك عن الحق، واتقاء التمادي في الغي، والتقصير عن الرشد، واتقاء الكبر والفخر والخيلاء، واتقاء الفجور، والمباراة بالشر، واتقاء الإعجاب بالنفس، واتقاء الفرح والمرح، والتنزه من لفظ السوء، والتنزُّه عن الفحش وقول الخنى، والتنزُّه من سوء الخُلق، والتنزُّه من البول والقذر كله.

٤ ـ فهذه صفة دين الله وهو الإيمان، وما شرع الله فيه من الإقرار بما جاء من عند الله وبيَّن من حلاله وحرامه وسننه وفرائضه.

قد سُمِّي لكم ما ينتفع به ذوو الألباب من الناس، وفوق كل ذي علمٍ علِيم، ويجمع ذلك كله التقوى.

فاتقوا الله، واعتصموا بحبله، ولا قوة إلَّا بالله.

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما نبلغُ به رضوانه، وجنَّته. اهـ.

